الجذور المغاربية لحركة الشّيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا خلال القرن التاسع عشر الميلادي

الطالب الباحث: عطية عومار

جامعة غرداية

توطئة:

يعدّ الشّيخ عثمان بن فودي من أبرز شخصيات السّودان الغربي خلال القرن التاسع عشر وذلك بتأسيسه لخلافة سكوتو الإسلامية من خلال حركته الإصلاحية، وتعود جذور حركته إلى مؤثرات بلاد المغرب الإسلامي من حيث انتشار الإسلام في بلاد الهوسا، وما رافقه من حركة علمية دينية باللّغة العربية، وعوامل التّأثير والتأثّر الّتي كانت سائدة في الحواضر الإفريقية بسبب حركة العلماء الإصلاحية البارزة كحركة الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشّيخ المختار الكنتي، وما مدى تأثير الطّريقة القادرية على الشّيخ عثمان بن فودي في حركته الإصلاحية.

ترجمة الشّيخ عثمان بن فودي:

هو الشّيخ عثمان بن محمّد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمّد غورطو بن جبّ بن محمّد ثنب بن أيّوب بن ماسران بن بوب باب موسى الّذي سمي بجكولو[1]، وموسى جكولو هذا هو الّذي سار بقبيلة التّوردب إلى بلاد الهوسا[2]، حيث استقرّوا واستطاعوا التّأقلم مع القبائل الأخرى، بل كان لهم دور كبير في

---

(1) M. Hiskett، Material Relating to the State of Learning among the Fulani before Their Jihād, Vol. 19 No3, B. S. O. A. S, University of London ,1957, p. 552،

(2) عبد الله بن فودي، كتاب النسب، المادة 1، المرجع o/ar 27، ص1.

هذه المنطقة. أمّا أمّه فهي حواء بنت محمّد بن عثمان بن حم بن عال[1]وجدّته لأبيه هي: مريم بنت جبريل بن حم بن عال[2]، وينتهي نسب العائلة إلى أصل واحد وهو جدّهم موسى جوكولو.

أمّا عن مولده فلم يرد اختلاف كبير بين المؤرّخين في تاريخ ولادته، فمنهم من يقدّمه بسنة ومنهم من يؤخّره بسنة، لكن بالنسبة لمكان ولادته فأغلب الكتابات تتّفق على مكان واحد تمثل في قرية مارتا

Maratta[3] بأرض مملكة غُوبِرْ Gobre من بلاد الهوسا، وبالنّسبة لتاريخ مولده فأغلب الّذين ترجموا له يقولون بأنّ مولده يوم الأحد آخر تسع وعشرين 29 من شهر صفر 1168هـ[4]، الموافق لـ : 15 لشهر ديسمبر عام 1754م[5]. ونشأ في كنف والدين صالحين كان لهما الأثر الكبير في تربيته تربية صالحة.

لم يَكنْ يُعرف الكثير عن حياة عثمان في الطّفولة باستثناء بعض الأساطير والكرامات الواردة في الأدب الفولاّني[6]، ومما ذكره محمّد بلّو رواية المرأة الصّالحة

---

(1) نفسه، ص2.

(2)Abdullah Ibn Muhammad Foduye, Tazyin Al-Waraqat, Edited With A Translation A Introductory Study Of The Author's Life And Times, Ibadan University Press, 1963, Pp 40-41.

(3) مارتا قرية تقع في الشمال الغربي لإمارة غوبر وهي تسمى باسم ملك غوبر الثاني والسبعين .

(4) التاريخ الميلادي مع التاريخ الهجري أنظر محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية، ط1، المطبعة الميرية، مصر، 1893، ص 584- 585 ، وانظر أنطون بشارة قيقانو، جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية،ط3، منشورات دار المشرق، بيروت،1997. و انظر إبراهيم جمعة، السنين الهجرية وما يقابلها من السنين الميلادية، الدارة، س 2، ع1 ، 1976 ص 243 -1258

(5) هناك من يذكر أن مولده كان سنة 1169هـ. ولم يذكر شهر مولده كالأستاذ عبد الله الآلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا .ص 94.

(6) H. El-Masri,The Life Of Shehu Usuman Dan Fodio Before The Jihād, Vol. 2, No. 4, J.H.S.N, 1963, pp 435-448.

الّتي تدعى أم هانئ حيث قالت:" يظهر في هذا القطر السّوداني ولي من أولياء الله، يجدّد الدّين، ويحيي السّنّة، ويقيم الملّة، ويتّبعه الموفّقون، ويشتهر في الآفاق ذكره، ويقتدي العام والخاصّ بأمره، ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة. ومن علامتهم أنّهم لا يعتنون برعي البقر كعادة الفلاّتيين، ومن أدرك ذلك الزّمان فليتّبعه"[1]، لكنّ المعروف أنّه شبَّ في قرية تسمّى بديجل ، وقرأ القرآن على والده الشّيخ محمّد فودي، وبعد أن أكمله وانتهى من حفظه، شرع يتنقل من عالم إلى عالم آخر يتعلّم الفقه، ودرس العربية والعلوم الإسلامية على يد الشّيخ عبد الرحمن بن حمدا، وارتحل من مكان إلى مكان طالباً للعلم كعادة الطلاب في ذلك الزّمان.

قال ابن خلدون في مقدّمته : "وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشّبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"[2]. وهذا النّص إن صدق على أهل المغرب وشمال افريقيا، فإنّه يصدق على منهج تعليم أطفال المسلمين في بلاد غرب إفريقيا، والهوسا بوجه خاص لأنّ منهجهم نفس المنهج المغربي، وعلماؤهم الأوائل من المغرب والبربر، ومما يؤكّد ذلك ما قاله الشّيخ عبد الله بن فودي نفسه: "وقد تركني أبى في يده بعد قراءة القرآن وأنا ابن ثلاثة عشر سنة"[3].

نبت عثمان بن فودي وتربّى في بيئة دينية صالحة، أسهمت في تكوين شخصيته، الأمر الّذي هيّأ له ظروف العلم والعمل والإصلاح بصورة أكثر وأكبر، حيث كان أبوه عالماً وعمه وجدّته كذلك، زد على ذلك رغبته الكبيرة في الاستفادة العلمية، بفضل النّشأة الصّالحة الّتي نشأها ودرج عليها، والتّربية الإسلامية

(1) محمد بلّو، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تح علي عبد العظيم و آخرون ، 1964،ص 57.

(2) ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2008، ص280.

(3) M. Hiskett, Op.cit, p553.

الصّحيحة الّتي ألفتها نفسه، وامتزجت بها روحه، فصارت جزءاً لا يتجزّأ من حياته المليئة بالهدى والصّلاح منذ الصّغر فتطلّعت للعلم والثّقافة.

وهكذا فإنّ الشّيخ عثمان بن فودي ينتمي إلى أسرة عُرفت بالعراقة، والمكانة العلمية المرموقة، فكان جدّه الحادي عشر موسى جوكلو زعيماً في قومه الّذي انتقل بهم من فوتاتور إلى بلاد الهوسا، وجُلّ أفراد أسرته أصحاب علم وثقافة بدءاً من الأبوين وجدّته وأعمامه وأخواله وأخوه الأصغر عبد الله الّذي أشار إلى بعضهم في كتابه إيداع النّسوخ، كلّ هذا انعكس على شخصيته العلمية الّتي نقلها إلى أبنائه فيما بعد[1].

وقد كانت عوامل كثيرة أثرت في شخصيته وساهمت في تكوينها من بينها المؤثرات المغاربية منها:

أولاً: انتشار الإسلام في بلاد الهوسا.

1- انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

كانت للفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب أثرها المباشر في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، الّذي انساب إليها عن طريق الرّحلات التّجارية الّتي ربطت ما بين شمال الصحراء وجنوبها فقد تأثّر الأفارقة بالعرب المسلمين لم رأوه فيهم من صفات حميدة كالصّدق في القول، والوفاء في المعاملة، ومن المعروف أنّ الإسلام لم ينتشر بمجرد ظهوره وإبلاغه للنّاس، كما أنّه لم يتحقّق بالقهر، وإنّما كان حمله وتبليغه من طرف جماعة آمنوا به إيماناً كاملاً، وساروا على نهجه بقدر استطاعتهم، وبذلوا جهدهم في نشره، وجَنّد العديد من الدّعاة المسلمين أنفسهم لخدمة الدّعوة إليه[2]، ومن الكُتّاب الغربيين الّذين قالوا بذلك، ممن اتّصفوا بالنّزاهة

(1) Ibid, p 552.

(2) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة 1986، ص ص200-216.

والموضوعية منهم هوبير ديشان Hubert Deschampsحيث يقول:" إنّ انتشار دعوة الإسلام لم تقم على القسر، وإنّما قامت على الإقناع الّذي يقوم به دعاة متفرّقون من المرابطين، لا يملكون حو لاً ولا قوّة إلاّ إيمانهم العميق بدينهم، وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتّسرب السّلمي البطيء من قومٍ إلى قومٍ "[1]

2- دور المغاربة :

بفتح المسلمين لشمال إفريقيا، بدأ الإسلام ينتشر من هناك نحو جنوب الصّحراء، ثمّ صوب السودان

الغربي جنوب الصّحراء الكبرى، ويرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السّودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصّحراء وجنوبها، وقد تدفّق الإسلام من بلاد المغرب إلى بلاد السّودان الغربي بشكل مكثّف، وفي نطاق واسع، خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي[2]، والّتي كان لها الأثر الأكبر في دخول الإسلام[3]، حيث لم تكن الصّحراء حاجزاً بين بلاد المغرب وبلاد السّودان. فقد أدّت التّجارة دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتّصال بين المنطقتين، ومن ثَمَّ تَسرَّبَ الإسلام إلى بلاد السّودان[4].

(1) هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة أحمد صادق حمدي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956، ص128.

(2) حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص 143.

(3) F. Garrard, Myth and Metrology، The Early Trans-Saharan Gold Trade Timothy Vol. 23, No. 4 , J.A.H, 1982, p 443.

(4) سحر عنتر محمد أحمد مرجان، فقهاء المالكية و آثارهم في مجتمع السودان الغربي، في عهدي مالي و صنغي 628-1000ه / 1230-1591م، مكتبة الثقافة الدّينية، ط1، القاهرة، 2011، ص 27 .

ومن الأمور الّتي دفعت المغاربة إلى نشر الإسلام والثّقافة العربية هو حبهم الشّديد للدّين الّذي قدّموا له النّفس والنّفيس من أجل تبليغ هذه الدّعوة في جميع أنحاء غرب افريقيا، ويعلّق عبد الرّحمن السّعدي على هذا التّدين الشّديد عند حُكَّام المغرب حين قال:" وهم على دين الإسلام، واتّباع السّنّة، وهم يجاهدون السّودان"[1]، كما كانت لطرق القوافل التّجارية الّتي تربط بين شمال القارّة وبين السّودان الغربي والأوسط غرب إفريقيا من أهمّ المنافذ الّتي تسرّب منها الإسلام إلى قارّة إفريقيا، ومن أهمّها الطّريق الّذي يبدأ من جنوبي تونس ويتّجه إلى بلاد الكانم والبورنو في حوض بحيرة تشاد، والطّريق الثّاني يبدأ من توات جنوب الجزائر ويتّجه صوب تمبكتو ثم إلى بلاد الهوسا(شمال نيجيريا حالياً)، والطّريق الذي يبدأ من مرّاكش ويصل إلى مصبّ نهر السّنغال والمناطق المجاورة الأخرى[2].

3- دور المرابطين:

ما من أحد ينكر دور المرابطين وحركتهم الكبيرة في نشر الإسلام وتعاليمه في افريقيا جنوب الصّحراء، وينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة، ويعدّ يحي بن إبراهيم الجدّالي الزّعيم السّياسي لتلك الحـركة في حين يعدّ عبد الله بن ياسين الزّعيم الرّوحي لها، ومما تجدر الإشارة إليه أن المرابطين لم يكونوا أَوَّل من أدخل الإسلام إلى غرب إفريقيا، فقد كانوا على المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام فأبلوا البلاء الحسن بهدف نشره وتمكينه في قلوبهم مما أدّى تملكهم في البقاع الّتي

(1) عبد الرحمن السّعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، فرنسا، ط1، 1898، ص 25.

(2) شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مج2، القاهرة،1997، ص ص75-76.

دخلوها[1]، وبهذا أعطوا دفعة قوّية لنشره عندما اخضعوا الصّحراء ونجحوا في الانتصار على مملكة غانة الوثنية عام 460ه/ 1067م[2].

وقد قامت هذه الدّولة بتكوين جبهة إسلامية قوية، امتدّت من غرب إفريقيا إلى المغرب ثم الأندلس وقد ساعدت هذه الدّولة على انتشار الإسلام وثقافته في غرب إفريقيا، ويرجع الفضل في نشر الإسلام في هذه الجهات إلى دعاة المرابطين الّذين امتدّ نشاطهم من السّنغال إلى غينيا حتى ساحل العاج والنّيجر[3] ولم يقتصر دورهم في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فحسب بل عملوا على إصلاح العقيدة، و نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة[4]، كما أسهموا في نقل المؤثّرات الأندلسية والمغربية إلى تلك المناطق، ومنها الكتابة بالخطّ المغربي، واتباع المذهب المالكي من الناحية الفقهية المغاربة[5]، ويعزى إليها أيضاً تأسيس الكثير من المراكز التّجارية الّتي تطوّرت وأصبحت حواضر إسلامية وعلمية كبرى، مما عزّز العلاقات الثّقافية والتّجارية بين بلاد المغرب الإسلامي والسّودان الغربي[6].

ومما سبق يتبيّن لنا الأثر الكبير لجهد المرابطين عبر هذا التّاريخ الطويل، حيث أصبحت الثّقافة العربية في منطقة السّودان الغربي تحمل طابعاً مغربياً واضح

(1) ابن خلدون، ديوان العبر، ج6، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 242.

(2) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية و بدء حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر، لعلاقات العربية الإفريقية دراسة في الآثار السلبية للاستعمار، معهد البحوث و الدراسات العربية،1977، ص37.

(3) عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب افريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة يوسف، ج2، ص8-13.

(4) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المرجع السّابق، ص37.

(5) عصمت عبد الله دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا،ط1،در الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،ص222.

(6) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المرجع السّابق، ص37.

المعالم، والمذهب المالكي مذهب النّاس، والمدارس التّعليمية تنتهج منهجاً خاصاً بالمغرب الإسلامي، أضف إلى ذلك الكتب المتداولة أغلبها لعلماء مغاربة والكتابة كانت بالخطّ المغربي، أي أنّها ثقافة مغربية على أرض إفريقية[1]، ومن خصائص انتشار الإسلام في السّودان الغربي، هو إسلام الطبقة العليا من الحكّام والملوك قبل الرعايا[2]، وهذا ما يشجّع على انتشاره بشكل واسع، فقد كان إسلام الكثير من الناس بسبب إسلام من يحكمونهم.

4- دور الممالك الإفريقية:

لقد كان للإسلام دور كبير في ظهور ممالك إسلامية عديدة في غرب إفريقيا، مثل غانة ومالي وسنغاي والتي ساهمت بدورها في نشره وترسيخه، كما كان لها أثرها في مختلف المجالات فزادت مكانتها وتطورت

حضارتها[3]، وأوّل هذه الممالك وأقدمها مملكة غانة[4] ويُرجّح أنّ أوّل حكومة قامت في غانة يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الأوّل ميلادي. وغانة كانت أصلاً لقباً يُلقب به ملوك هذه الدولة، إلاّ أنّها اشتهرت بهذا الاسم نسبة لعاصمتها غانة، وهي كما ذكر ياقوت كلمة أعجمية، بعدما سقطت مملكة غانة خلفتها مملكة مالي في البقعة الجغرافية وأظهرت حرصا كبيرا في نشر الإسلام وإتمام الدّور الذي

(1) محمود حسن أحمد، المرحلة الإفريقية من تاريخ المرابطين، المجلة التاريخية المصرية، مج 12 مصر، 1965، ص118.

(2) Chailley, marcel، histoire de l'Afrique Occedental Française,p33.

(3) شوقي عطا الله الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب افريقيا سماتها و دور المغرب فيها، مقال بمجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، العدد7، 1976، ص 132.

(4) للتفصيل في هذه المملكة انظر حسن عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص ص 111-118.

بدأته مملكة غانا الإسلامية لهذا تعتبر ملكة مالي من أهم الممالك الإسلامية الّتي رسخت الإسلام في العديد من الحواضر عن طريق العلم والتعليم وركب الحجيج الذي ساهم هو الآخر من الناحية الثقافية في الربط ما بين أراضي العالم الإسلامي عامة وغرب افريقيا خاصة[1] اختفت غانة، كما اختفت إمبراطورية الصّوصو وتعتبر مالي أقوى وأغنى إمبراطورية إسلامية قامت في السودان الغربي، وترجع أصولها إلى القرن السّابع ميلادي، غير أنّها بلغت الذّروة، خلال القرن الثّالث عشر ميلادي أسّست هذه الدّولة قبائل الماندنجو الّتي سادت لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة بين نهر النّيجر والمحيط الأطلسي.وملوك مالي هم أصحاب الدّور الكبير في نشر الإسلام، وأشهر أسرة هي كيتا صاحبة الفضل في تكوين هذه الدّولة الإسلامية التّاريخية. وكانت دولة التّكارارة في حوض السّنغال الأدنى قائمة في القرن الحادي عشر، وكذلك قامت دولة سنغاي[2] التي ظهرت حوالي القرن السّابع الميلادي على الضّفة الشّمالية لنهر النّيجر، وبلغت أقصى اتّساعها في زمن أحد ملوكها وهو سنّي علي (850- 892ه/ 1464-1492م) الّذي أخذ لقب أمير المؤمنين.

5- القوافل التّجارية:

رغم ما بين بلاد المغرب وبلاد السّودان الغربي من صحاري و براري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعي

وصعبة المسالك[3]، إلاّ أنّ الاتّصال بينهما قد شهد تطوراً في فترات مختلفة ذلك لأنّ العلاقات كانت قديمة، يقول باذل دافدسن:" اتّصل الغرب بالشمال

(1) للتفصيل في هذه المملكة انظر المرجع نفسه، ص ص 119- 138.

(2) للتفصيل في هذه المملكة انظر عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي، المرجع السّابق. حسن عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص ص 139-153.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996، ص100.

الإفريقي وشماله الشرقي منذ أحقاب ممعنة في القدم"[1]، وقد قامت مراكز تجارية على مقربة من المسالك، والطّرق التّجارية قدّمت خدمات جليلة للإسلام، فبتطوّر هذه المراكز تجارياً الّتي يرتادها التّجار بمختلف السّلع والمنتجات، سرعان ما تتحوّل إلى مراكز ثقافية يرتادها الدّاعية والمعلم والمريد، حتّى أصبح من المعروف أنّ هذه المحطّات مراكز لتبادل السّلع والأفكار، لذلك نجد أن بعض المراكز قد غلب عليها النّشاط الاقتصادي مثل جني في حين هناك مراكز غلب عليها الجانب العلمي مثل كانو، وجمعت تمبكتو الأمرين معا[2].

تعتبر الطّرق والمسالك الصّحراوية أهم وسيلة للاتّصال بين سكان المغرب الإسلامي وشعوب إفريقيا جنوب الصّحراء، حيث اجتازت عبرها القوافل التّجارية المحمّلة بمختلف السّلع والمنتجات انطلاقاً من مراكز الشّمال الإفريقي إلى المراكز التّجارية بالسّودان الغربي، ثمّ ترجع قافلة مرّة أخرى بعد مدّة عبر هذه الطرق إلى مواطنها محملة بسلع ومنتجات أخرى غير موجودة في مراكز الشمال حيث يتمّ الإقبال عليها بكثرة

ومن أهمّ هذه الطرق والمسالك[3]:

الطّريق الأوّل: من سجلماسة ثم ولاّتة ومنها إلى تمبكتو وجني وغاو.

الطّريق الثّاني: من تلمسان و يمر بواحة غرداية ثم توات ومنها إلى تمبكتو.

(1) باذل دافدسن، افريقيا تحت أضواء جديدة، ص 19.

(2) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983،ص194.

(3) الشّيخ الأمين عوض الله، تجارة القوافل و دورها الحضاري حتّى نهاية القرن السّادس عشر، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، معهد الدراسات العربية، بغداد،1984، ص 74.

الطّريق الثّالث: من تقرت إلى ورقلة ثم إلى تمبكتو وغاو هذا الطّريق يتّصل بالموانئ الجزائرية في الشّمال[1]

الطّريق الرّابع : من إقليم الجريد جنوب تونس إلى وادي سوف وغدامس إلى مراكز الجنوب.

الطّريق الخامس: من طرابلس الغرب إلى غدامس ثم يتفرع إلى فزّان ومرزق ثم إلى غاو وبورنو.

الطّريق السّادس: يبدأ من مصر إلى واحة سيوة وزويلة وتادمكة و ينتهي إلى غاو وتمبكتو.

وتجدر الإشارة بأن هذه الطّرق التّجارية المذكورة، تتحكّم بها عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية تؤدي إلى تغيير مسالك القوافل التّجارية من وقت لآخر، غير أنّ اتّجاهاتها تبقى ثابتة ، ما دامت المراكز التّجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب أو لآخر[2]، وقد تركز الإسلام في بداية الأمر في المراكز التّجارية الهامّة والمدن، ثمّ توغّل إلى دواخل إفريقيا البعيدة وانتشر بين شعوب غرب إفريقيا عن طريق القوافل التّجارية الّتي لا تنقطع، وبهذا النّشاط التّجاري زاد نفوذ المسلمين، وأصبحت المعاملات الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة التّعاملات التّجارية ما بين المسلمين المتحكّمين في هذه التّجارة[3]. أمّا وسيلة النّقل لتلك القوافل فكانت الجمال التّي قدّر عددها خلال السّنة الواحدة في عصر ابن خلدون حوالي اثني عشر ألف جمل، وكـان فيها قدر كبير من الاهتمام حيث يراعي فيها تنظيماً محكماً في

(1) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، المرجع السّابق، ص 214.

(2) بلهواري فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب و افريقيا السوداء، مجلة عصور، ع ع 8-9-10-11، جامعة وهران، الجزائر، 2006-2007، ص 154.

(3) J.Spencer Trimingham، op-cit, p 28.

السّير والحراسة، وتوفير الضّروريات خاصّة المـاء وعند وصولها تستقبل بحفاوة من طرف الرّسميين وغيرهم[1].

وقد كان التّجار المغاربة في تجارتهم ومعاملاتهم يكسبون احترام وودّ الشعوب السّودانية؛ نظراً لما كانوا يتمتّعون به من أخلاق وأمانة وأدب. وقد كانوا ينقلون بضائعهم من سيوف ورماح وألبسة صوفية من شمال إفريقيا إلى غربها، ويتوزّعون لبيعها في غانة ومالي وتكرور وسنغاي وكاتسينا وكانو وبرنو ثم يعودون بريش النّعام والعاج والعبيد[2].

ومع هذه الحركة التّجارية الكبيرة قويت الصّلات، وقويت معها العلاقات الثّقافية فكان ذلك دافعاً جعل الكثير من طُلاّب السّودان الغربي يتوجّهون وبقوّة مع القوافل التّجارية صوب الشّمال، قاصدين المراكز العلمية لطلب العلم[3]، وكان للتّجار المسلمين دورٌ مهمّ في تأسيس بعض المدارس القرآنية لتعليم الأطفال[4]، وقد وُجِدَت أسرٌ عربية اتّخذت التّجارة حرفة رئيسية عُرِفت بها، وأصبحت في المدن التّجارية الهامّة في غرب إفريقيا وشمالها أحياءً خاصّة للتّجار العرب يقيمون في دورٍ بنوها فوق مستودعات بضائعهم، وحَرِص هؤلاء على أن يتعلّم أبناءهم في المدارس والمساجد مع الطّلبة الأفارقة[5].

(1) عبد القادر زبادية، دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

(2) آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق ، ص 40.

(3) جلال يحي، تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010، ص 21.

(4) بلاربي أبو بكر، اللغة العربية في نيجيريا من العصور الوسطى إلى اليوم، المجلة العربية للثقافة، تونس ،مج 7،ع 1987،12،ص19.

(5) نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، دمشق، 1960، ص 25 وما بعدها.

ويتبيّن لنا من هذا الوصف أن التّاجر المسلم قام بدور كبير للدّعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وكيف أثرّ بشكل مباشر في عملية انتقال الثّقافة بشكلها العام، عناصرها المختلفة من عقائد ونظم وعادات قيم إلى المجتمعات غير المسلمة بشكل سلس هادئ، وبذلك يعد نموذجا حياً لكيفية دخول الإسلام وحضارته إلى إفريقيا الغربية عبر واحدة من أهم الوسائل ألا وهي التّجارة [1]، وبما أنّ حركة التّبادل التّجاري كانت تسير في اتّجاهين متعاكسين، فإنّه من المرّجح أنّ التّجار السّودانيين بعد أنّ أسلموا، بدؤوا ينشرون الإسلام في مناطقهم، نظراً لمعرفة لغة أقوامهم من جهة، والمكانة المرموقة الّتي يحتلّها هؤلاء في مجتمعاتهم من جهة أخرى، وهذا ما يتناسب مع قبائل الهوسا المعروفة بنشاطها التّجاري الكبير وتنقّلاتها الواسعة[2]، وقد تميّزوا بمهارة فائقة في فلاحة الأرض، وبعض الحرف الصّناعية وكذلك في التّجارة، وقد أسهم الموقع المتوسّط بين السّودانيين الغربي والشّرقي، ووقوعها عند الطّرف الجنوبي لطريق القوافل التّجارية الصّحراوية الرّئيسية، والّذي يمتد من تونس ماراً بمدينة غات وغدامس وآهير ثمّ إلى بلاد الهوسا، ويعتبر التّجار الهوسَويين من أكثر التّجار مغامرة، وكانت قوافلهم تخترق الصّحراء الكبرى باتجاه بلاد المغرب بمنتجات بلاد السّودان من ذهب وعاج ورقيق وريش نعام وغيرها، كما وصلت قوافلهم مناطق الغابات في الجنوب إلى روافد وادي نهر بنوي، كما اتّجه تجارهم شرقا إلى بورنو[3].

لم يترتّب على التّجارة بين بلاد المغرب والسّودان الغربي نتائج اقتصادية فقط بل كانت آثارها الحضارية، والاجتماعية، والثّقافية أعمق وأقوى فقد أدّت إلى انتشار الإسلام وانتشار اللّغة العربية، وعليه نخلص إلى أنّ التّجارة تعدّ من أكبر العوامل نقلاً لروافد الحضارة العربية الإسلامية من بلاد المغرب الإسلامي إلى

(1) حسن عيسى عبد الظاهر، المرجع السّابق، ص 97.

(2) عصمت عبد الله دندش، المرجع السّابق، ص45-46.

(3) شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المرجع السّابق، ص 204.

بلاد السّودان الغربي، بل إنّ التّجارة وانتشار الإسلام في غرب إفريقيا مرتبطان كلّ الارتباط[1].

6- انتشاره في بلاد الهوسا :

وصل الإسلام بلاد الهوسا من طريقين أولهما عبر مصر والسّودان الشرقي، ودارفور وبراغمي وبورنو، والطريق الثّاني من المغرب الإسلامي إلى جنوب الصحراء حتّى وصل إلى المناطق الغابية والسّاحلية من السّودان الغربي[2]، ويذكر المؤرّخون أنّ الإسلام كان معروفاً لدى قبائل الهوسا منذ عام700هـ/ 1300 م وزاد تأثيره بتدفق الهجرات، مع دخول قوافل التّجارة المحمّلة بمنتجات وسلع بلاد المغرب، ومع ذلك كانت قبائل الهوسا شديدة التّمسك بدياناتها التّقليدية وعاداتها القديمة[3]، ويرجع الفضل في انتشار الإسلام في هذه البلاد لوفود علماء الونغارة الّذين جاؤوا من مملكة مالي حاملين معهم الكتب في مختلف العلوم وذلك خلال القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر الميلاديين[4]،وقد نشير إلى أنّ نزوحهم بقيادة زناتي من مالي إلى بلاد الهوسا، قد تكون سببها العلاقات السّيئة مع الملك سنّي علي[5]، ويُعتبر الونغارة من الأوائل الّذين وضعوا تقليد منحة الدّراسة في الفقه الإسلامي، واللّغة العربية، والحديث في بلاد الهوسا حيث وصل علماء من الونغارة إلى كانو في عهد الملك يعقوب Yakubu (ت 904ه/1463م)، وذكرت حوليات كانو أنهم قد ساهموا بقدر كبير في إثراء المنح الدّراسية للمنطقة

(1) أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 371،376،383.

(2) عبد الله آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 35.

(3) محمد أنور، قبائل الهوسا، مجلة افريقيا قارتنا، العدد 6، القاهرة، 2013، ص3.

(4) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا، بيروت، 1971، ص 32.

(5) Lovejoy, P. E. ،The Role of the Wangara in the Economic Transformation of the Central Sudan in the Fifteen and Sixteenth Centuries, XIX, 2, J.A.H, 1978,p184

من خلال جلب كتب التّوحيد وعلوم اللّغة، بالإضافة إلى كتب تفسير القرآن الكريم و غيرها من الكتب من مختلف العلوم الأخرى[1]، حتّى أنّ قبائل اليوربا تسمّي الإسلام بدين مالي نظراً لمساهمتهم الكبيرة في نشره بينهم[2].

ثانياً: انتشار اللّغة العربية وتأثيراتها.

في المبحث السّابق من الفصل الثّاني تكلّمنا عن انتشار الإسلام في بلاد السّودان الغربي، وانتشاره يعني بالضّرورة انتشار لغته العربية كلغة للتّعبد والتّخاطب والتّعامل والكتابة وإلى غير ذلك من مختلف الاستعمالات. يقول المستشرق كارل بروكلمان:"... وقد انتشرت اللّغة العربية عن طريق القرآن الكريم انتشاراً واسعاً كما لم تنتشر أيّة لغة أخرى من لغات العالم.. و قد أصبحت اللّغة الأدبية المشتركة الّتي لها المكانة وحدها في معظم الأحوال حتّى بعد ظهور الآداب المحلّية في النّواحي العلمية إلى غاية اليوم. وتسيطر العربية القديمة أساساً في هذه الآداب، وهذا يعني سيطرة اللّغة الشّعرية غالباً، مع مفردات مناسبة للظّروف الجديدة. و بالطّبع لن تستطيع هذه اللّغة أن تتخلّص لدى العرب أنفسهم من تأثيرات اللّهجات الشّعبية الحيّة كلّها "[3].

ممّا لا شكّ فيه أنّ انتشار اللّغة العربية في مختلف أقطار العالم الإسلامي عامّة، ومنطقة إفريقيا جنوب الصّحراء خاصّة، مرتبطة كلّ الارتباط بانتشار الإسلام، من هنا تبرز قيمة اللّغة العربية فهي الوعاء الكبير الذي يحمل الإسلام، فإذا كان وصول الإسلام إلى منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء في وقت مبكر؛ أي منذ القرن

(1) Palmer, H. R,The Kano Chronicle, Vol 38,The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, 1908, pp. 58-98

(2) عبد الله آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 33.

(3) كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السّعودية،1977، ص30.

الأوّل الهجري السّابع ميلاي، فإن وصول العربية كان في حدود هذا التّاريخ، وحين تحدّث البكري في القرن الخامس عن مملكة غانة قال:"إنّ تراجمة الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه من المسلمين" وهذا لثقته فيهم لأمانتهم وصدقهم، وكذلك لمعرفتهم بالعربية فكانوا يستعملونها في كتاباتهم[1]، كما ذكر أنّ لهذه المملكة مدينتان كبيرتان إحداهما يسكنها المسلمون، ووصفها بأنها مدينة كبيرة بها اثنا عشر مسجداً، ويجتمِعون في أحد هذه المساجد، ولها الأئمة والمؤذّنون وفيها فقهاء وحَمَلَةُ العلم والمدينة الأخرى الّتي تَبْعدها بستّة أميال يسكنها الملك وفيها أيضاً "مسجد يصلّي فيه من يَفِدُ عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الملك"[2]، وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي استولى عليها المرابطون فأصبحت مملكة إسلامية ثمّ توالت الممالك وأشهرها كانم بورنو في منطقة التشاد الحالية، ومملكة مالي ومملكة السّنغاي إلى ظهور الخلافة السّوكوتية في بلاد الهوسا إلى دولة ماسينا في مالي والدّولة الفوتية في منطقة السنغال فكلّ هذه الممالك والدّول الإسلامية قد جعلت من اللّغة العربية لغتها الثّقافية والتّعليمية والدّينية والإدارية ومعاملاتها التّجارية ومراسلاتها الرّسمية، فانتشر التّعليم باللّغة العربية، ونبغ العلماء والكتّاب والشّعراء والأدباء والمؤرّخون ممّا شجّع على نشرها وترسيخها، وزاد مكتبة التّراث الإسلامي غنًى[3].

وإذا كانت هذه الممالك الإسلامية الّتي نشأت في منطقة جنوب الصّحراء قد قامت بدور مهمّ وأساسي في نشر الثّقافة الإسلامية واللّغة العربية، فبَنت المساجد وفتحت المدارس ودُورَ التّعليم على أوسع نطاق، وشجَّعت العلماء وقرَّبت رجال

(1) البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1857، ص 175.

(2) نفسه، ص 175.

(3) عبد العلي الودغيري، اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي و ملامح من التأثير المغربي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011، ص 100.

الدّين وأنزلتهم المنازل الّتي تليق بهم، فإن هنالك أيضاً عواملَ أخرى تضافرت معها على ذلك: منها دور دعاة الإسلام الّذين انتشروا في أنحاء الغرب الإفريقي، ومنها دور القوافل التّجارية والتُّجار أنفسهم، ومنها الطّرقُ الصّوفية ومُريديها، كما كانت الرّحلات أيضاً الّتي يقوم بها الحُجّاج الأفارقة إلى الدّيار المقدّسة في الحجاز مروراً بأقطار عربية كثيرة يأخذون منها العلمَ، ويقتنون منها الكتبَ ويربطون الصّلة بالعلماء ويصطحبون معهم الدّعاة والمعلمين. ومنها أيضا هجرة بعض القبائل العربية على فترات واستقرارها في أجزاء من المنطقة.

لقد توسّع الإسلام في دواخل إفريقيا مع انعدام بيئة تتكلّم العربية أو تجيدها، وكان الفضل في ذلك لجهود كبار العلماء الّذين تحملوا عناء السّفر لمسافات بعيدة، وربما كانت الرّحلة محفوفة بالمخاطر مع صعوبة المسالك الصحراوية هذا من جهة، وتوفّر الاستعداد الفطري لدى الأفارقة لتقبّل دعوة الإسلام من جهة أخرى[1]كما توسّعت وانتشرت معه اللّغة العربية، وأصبحت لغة التّخاطب والتّعامل، خاصّة بعد الإجماع بعدم قـراءة القـرآن بغير العربية، ووجوب الصّلاة إلاّ بها[2]، فكان لزاماً على من يريد التّوغل في أسرار الدّين أن يوغر في لغته، وأن يتقنها، وقد كان انتشارها انتشاراً واسعا شمل جميع ميادين الحياة.

1- دور الدّعاة والفقهاء:

لقد كان الدّعاة المتطوّعون يتوزّعون في كثير من مناطق غرب إفريقيا فيذهبون للدّعوة دون وجهة فلا تبعثهم حكومة، ولا تشرف عليهم إدارة، ولا تنظّمهم قيادة، بل هم موزعون في تلك البقاع ،يستعملون مختلف الوسائل الممكنة

(1) الكيالي سامي، آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم، اللسان العربي، المغرب، مج 7،ع1، 1970، ص 134.

(2) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012، ص61.

لنجاح دعوتهم[1]، ومن أشهر العلماء الذين هاجروا إلى أصقاع إفريقيا وأقاموا فيها وكان لهم حظ وافر في تعليم مبادئ الدّين وتصحيح العقيدة والرفع من مستوى تعليم اللغة العربية، الإمام محمد بن عبد الكريم المَغيلي التّلمساني (ت 909هـ/1503م) الّذي ترك أعمالاً جليلة مازالت بصماتها يشيد بها الكتّاب والمؤرّخون[2].

2- دور التّجارة في نشر اللّغة العربية:

لقد كان للتجارة دور كبير في نشر وترسيخ اللّغة العربية في هذه المناطق، حيث أصبحت التّجارة عبر الصحراء الوسيلة المهمّة في تدفّقها في هذه المناطق، ومن الطبيعي كذلك أن يلتقطها التّجار الأفارقة من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم فهذه العلاقة التجارية إذن هي الّتي وضعت الحجر الأساس للّغة العربية في هذا الجزء من افريقيا، وهكذا بدأ أولئك التّجار يدخلون كلمات عربية في تلك المناطق من افريقيا، فانتشرت تلك الكلمات تدريجيا حتّى توغّلت في ربوع افريقيا، واندمج بعضها في اللّغات المحلية وبخاصّة بعد انتشار الإسلام، ومما يؤكد هذا تلك المجموعة الهائلة من الكلمات العربية الكثيرة الموجودة في العديد من اللّغات الإفريقية. كالهوسا والفولاّن، والكانوري، خاصّة الأسماء التي تكثر استعمالاتها أثناء عملتي البيع والشّراء مثل أسماء البضائع والسّلع الّتي كانت تأتي من بلاد المغرب الإسلامي[3].

(1) عبد الله آدم الآلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص 40.

(2) عبد العلي الودغيري، المرجع السّابق، ص 100.

(3) مصطفى حجازي السيد، أدب الهوسا الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2000، ص 31.

3- دور المغاربة في نشر اللّغة العربية:

كان المسلمون في هذه البلاد يأخذون العلوم الدينية من علماء المغرب الإسلامي[1]،وكان انتشارها يعتبر من منابعها حتّى تعلّمها أهل هذه البلاد وبدأوا بنشرها، وكان بدء انتشار العربية في مملكة كانو على عهد السّلطان محمّد رمفا في القرن التّاسع الهجري. ولكنّ الحقيقة الّتي أصبحت معروفة لدى الجميع، هي أنّ انتشار اللّغة العربية كان شيئاً مُلازِماً بالضّرورة لانتشار الدّين الإسلامي. فحيثما توجَّه واستقرَّ، استقرَّت معه لغةُ القرآن الّتي هي أداةٌ ضرورية لفهم الوحي والتّنزيل عند المسلمين، وضرورة أيضاً لأداء فريضة الصّلاة، وحفظ السُّور وقراءة الأوراد، كما هي ضرورية لفهم الكتُب الدّينية الأساسية من حديث وتفسير وقراءات وسيرة نبوية وغيرها من العلوم الإسلامية [2]، ومن ثمَّ لم تكن العربيةُ عند المسلمين في يوم من الأيّام، مجردَ لغة دينٍ وتعبُّد فقط، بل أصبحت لغةَ تعليم وتعلُّم، ولغةَ فهم وتفهُّم، ولغة ثقافة وحضارة وفنون. ومن ثمَّ تحوَّلت لتصبح جزءًا من العادات والتّقاليد، بل جزءاً من شخصية المسلم وكيانه وهويته[3].

إنّ الكثير من الكلمات والآيات القرآنية تمازجت مع اللّغات المحلّية للمسلمين حتّى أصبحت جزءاً من

هذه اللّغات واللّهجات، ممّا يؤكّد قوة التّلازم والتّرابط بين اللّغة العربية وبين الإسلام الّذي أغناها بسحر آياته وإعجاز كلماته فاغتنت وأغنت[4]، وهنا تدخل مسألة التّأثير والتّأثّر، كما أنّ اللّغة العربية تستطيع التّطور واستيعاب ما تسرّب

(1) عبد الله الآلوري، تاريخ دخول الإسلام، المرجع السّابق، ص284.

(2) محمد سليمان باريا ، محمد صالح جمال، اللغة العربية أداة للتفاهم بين الشعوب النيجيرية المسلمة، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي، 6-10 ماي 2015، ص 194.

(3) عبد العلي الودغيري، دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي

(4) الكيالي سامي، المرجع السّابق، ص135.

إليها من اللّغات واللّهجات الّتي اختلطت معها وذلك باحتوائها من جهة والاستفادة منها من جهة أخرى[1]، واللّغات في بلاد السّودان متباينة تسمّى إحداها السّنغاي وتستعمل في عدّة نواح، كولاّته، وتمبكتو وجني وغاو، ووانغارة بينما تدعى لغة أخرى كوبر وتستعمل في بلاد غوبر وكانو وكاتسينا وزكزك، وهناك لغة في بورنو تشبه المستعملة في كاوكاو وأخرى بقيت مستعملة في مملكة النّوبة تختلط فيها العربية والسّريانية والقبطية[2]، إلى غير ذلك من اللّغات الكثيرة الّتي قدّرها بعض الدّارسين بين 700 و1000لهجة[3].

4- المراسلات العلمية ودورها في نشر اللّغة العربية:

كانت المراسلات العلمية رافداً قوياً من روافد هذه النّهضة الإسلامية في غرب إفريقيا، وكان لها أثرها البالغ في توجيه وتصحيح بعض العقائد والأفكار المنحرفة، وتعليم ونشر مبادئ الإسلام بين المسلمين، كما كان لها تأثيراتٍ وإسهاماتٍ في نشر اللّغة العربية، وهناك نماذج كثيرة من هذه المراسلات، والّتي حدثت في فترات مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نموذجاً من تلك المراسلات، فقد حفظ لنا القلقشندي رسالة بعث بها سلطان كانم عثمان بن إدريس باللّغة العربية إلى السّلطان الظّاهر سيف الدّين برقوق، وقال إنّها وردت سنة 794هـ/1394م. مما يوجب القول أنّ انتشار اللّغة العربية واضح بجلاء ومادامت أنّ الرّسالة طابعها كان رسمي، فإنّه يدلّ حتماً أنّ اللّغة العربية كانت

(1) مسعود بوبو، من تاريخ انتشار اللغة العربية في الآفاق، مجلة دراسات تاريخية، ع ع 63-64، جامعة دمشق، سوريا، 1998،ص6.

(2) الحسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983، ص39.

(3) الحاج سيلا، دور اللغة العربية في العلاقات الإفريقية العربية، الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، السنغال،1984، ص 97.

اللّغة الرّسمية للدّولة، وتكتب بها سجلاّتها كما أنّ مضمون الرّسالة يُعبر عن مدى شيوع الثّقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد[1].

كذلك حدث مع الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عندما كان في بلاد السّودان الغربي حيث كتب فتاويه الدّينية ووصاياه السّياسية باللّغة العربية لكل من الأسيقا محمد الكبير سلطان مملكة سنغاي والأمير أبي عبد الله محمد رنفا بن يعقوب سلطان كانو؛ والرّاجح أنّه كتبها حينما كان في بلاط كلٍّ منهما[2].

وفي إطار نصح العلماء لبعضهم، كانت هناك بينهم مراسلات علمية ومناظرات، ومن هذه الرّسائل ما كتبه أحد علماء التّكرور يستفتي فيها الإمام السّيوطي في بعض الأمور المتعلقة بعوائد أهل السّودان المخالفة للشّريعة[3]. ورسائل عثمان بن فودي بعث بها إلي أهل السّودان وهي كثيرة، حيث بيّن لهم عن طريق هذه الرسائل المكتوبة باللّغة العربية كل ما يتعلّق بأحوال بلاد الهوسا من انحرافات، وبين لهم الطّريق المستقيم بإتباع الكتاب والسّنّة، ومن النّماذج أيضاً، الرّسائل المتبادلة بين الشّيخ عثمان بن فودي، وسلطان الكانم بورنو محمّد الأمين الكانمي (ت 1251ه/ 1835م) ، في أمر الجهاد في تلك البلاد وهي كثيرة وقد بلغت حدّ الرّوعة في التّعبير دلّت على التّضلع الكبير لهؤلاء في اللّغة العربية وأساليبها[4].

(1) القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

(2) محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها، تقديم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، عام 1989، ص ص 151-191

(3) للسيوطي،الحاوي للفتاوي، ص ص 284-294.

(4) محمّد بلّو، المرجع السّابق، ص ص 155- 198. انظر بعض الرسائل المتبادلة بن الشّيخ عثمان ومحمد الكانمي في الملحق رقم 17.

8- اللّغات الإفريقية بالحرف العربي:

لا يمكن بأيّ حال لأحد أن ينكر أنّ كلّ شعب في إفريقيا قد اقتبس من جيرانه بعض مظاهر الثّقافة، و أدخلها في ثقافته حسب أسلوبه وتصوّره[1]، فالأفارقة الّذين هم أقرب للعرب وأوثق صلة بهم هم أكثر الأفارقة استعمالاً للكلمات العربية[2]، ومما لاشكّ فيه أنّ هذه الشّعوب قد سجّلت حضورها بتدوين لغاتها، وكان للحرف العربي بصمته الواضحة، فقد جعل الحرف العربي هذه الأمم تعبّر عن ثقافتها وآدابها وتاريخها، وبالتّالي ضمان إيصال المعرفة إلى أبنائها، ووصول الثّقافة العربية الإسلامية إليها كان عبر قبائل وسيطة، أهمّها قبائل صنهاجة الّتي تشّربت ثقافتها من بلاد المغرب منذ القرن الهجري الأوّل، وهذا التّاريخ يعتبر بداية التّدوين بكبرى لغات تلك المنطقة كالفولاّنية والهوساوية والولفية والماندينغ[3]، فكان علماء الهوسا واليوربا يكتبون لغتهم بالأحرف العربية على طراز الفرس والتّرك ويسمّونها الكتابة الأعجمية، ولقد كتبوا بها عدّة كتب علمية وأدبية ودينية[4].

لقد كانت روابط الأخوّة متينة بين شمال الصّحراء وجنوبها في إفريقيا، ومن مزاياها تسابق سكّان المنطقة إلى شراء الكتب العربية وتعلم اللّغة العربية حتى إن الجميع اخذوا يشعرون بالانتماء الثّقافي والسّياسي المشترك ، فالمسلم أخو المسلم والعربي أصبح أخاً للسّوداني، والأرض أصبحت وطن الإسلام وكانت اللّغة العربية لغة الدّولة والحكومات، ولغة الدّواوين، والسّجلات، إضافة إلى كونها لغة

(1) علي كلطغ ديالو، الثقافة الإسلامية في افريقيا، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، الرباط، العدد 266، 1987،ص22.

(2) الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص39.

(3) محمد الأمين منغا، اللغة العربية و اللغات الإفريقية الأخرى، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2006، ص 23.

(4) عبد الله، آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 143.

الدّين والحضارة في معظم دول إفريقيا جنوب الصّحراء[1]، وكان الخطّ المغربي انعكاس لصورتها، فقد توافق انتشار الخطّ المغربي في العالم الإسلامي موافقة دقيقة بانتشار مذهب مالك، وارتبط به وأصبح مرادفاً له[2]

ثالثاً: التّأثر بالشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3].

يعدّ الشّيخ المغيلي أحد العلماء المغاربة الّذين حملوا لواء العلم ونشره في مناطق عديدة من إفريقيا خاصةً النّطاق الغربي منها. ارتحل المغيلي من قريةٍ إلى قريةٍ، ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ، ومن مملكةٍ إلى مملكةٍ يُجالس فيها الملوك، ويخالط

(1) نوري، دريد عبد القادر، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرون 4 – 8 هـ / 10 – 16 م، ع 30 م آداب الرافدين ،العراق، 1997، ص 93.

(2) أ .هوداس، محاولة في الخطّ المغربي، ع 3، حوليات الجامعة التونسية ، تونس،1966، ص 195.

(3) المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، هو الفقيه والمفسر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، عالم مشهور في الفقه والتفسير والحديث والمنطق ولد في تلمسان، أخذ العلم عن عبد الله بن يدير وعبد الرحمن الثعالبي، غادر تلمسان بسبب خلاف وقع بينه وبين ملوك بني زيان، استقر بمدينة تمنطيط في الجنوب الجزائري، أين اشتغل بالتدريس، كانت له مواقف من يهود المنطقة بسبب سيطرتهم غير الشريفة على التجارة، فحاربهم بتأييد مجموعة من العلماء، انتقل بعدها إلى منطقة غرب افريقيا ليعمل على نشر الإسلام بين سكانه، فزار كانو والتقى بحاكمها، ثم مكث بتمبكتو أين التقى الأسقيا وما دار بينهما من أسئلة وأجوبة في الفقه و السياسة و الحكم فذاعت شهرة المغيلي، بعدها رجع الى توات أين توفي ودفن هناك سنة909ه/ 1503 له مؤلفات عديدة منها في علم التفسير، **البدر المنير في علم التفسير** وفي الفقه، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** و **تاريخ الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين** وغيرها.و كانت للمغيلي مراسلات عديدة مع السيوطي حول مسائل في المنطق. وكان معجباً بآراء أرسطو، فأصبح من ابرز علماء عصره ومن أكثرهم تأثيراً على علماء الصحراء الكبرى وإفريقيا. أنظر، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الجزائر، 1968، تقديم رابح بونار. محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها، تقديم وتحقيق عبدالقادر زباديه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، عام 1989.

العلماء، وينصح الخاصّة، ويُصلِح العامّة، حتّى ذاع صيته، وشُدَّت إليه الرّحال من الأقاصي من طلبة وعلماء وغيرهم، يرجون النَّهْلَ من علمه، والاستفادة من نصحه.

دخل المغيلي إلى كانو، وأقام فيها للتّدريس، ثمّ تولّى القضاء، وعمل على تأليف رسالة في شؤون الإمارة، في شكل نصائحٍ قدّمها للأمير محمد ابن يعقوب المعروف برمفا، وهذه الرّسالة معروفة بـ: تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين. ثم رحل إلى كاتسينا، وقام بمهمّة التّعليم والإفتاء، وقدّم نصائح ووصايا لحَاكِمِها إبراهيم ياجي وحسب رواية هنري بارث أن المغيلي عندما رحل إلى كاتسينا أدخلة إلى الإسلام[1].

وبحسب أعماله فقد اجتمعت فيه خصال جمّة، فهو يملك من الشّجاعة والجرأة والمروءة والسّماحة والفضل والوقار ما يمكنه لنَصْرِ أمّته، ونصْحِ إخوانه، فقد رحل من شمال الصحراء إلى جنوبها ينشر العلوم الدّينية والدّنيوية.

تميّزت الحركة العلمية والفكرية في السّودان الغربي بقوّتها، وتأثّرها الكبير بالعقل المغربي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خصوصياتها باستقلاليتها عن السّلطة السّياسية، وأجازت الجهاد ضدّ الحاكم الظّالم، مثل المغيلي فإنّ حُكْمَه على الحاكم الظّالم حُكْم الكافر، وأجاز بأولوية مجاهدته[2] .

إذا تحدّثنا عن آثار المغيلي في السّودان الغربي، فهي كثيرة وجليلة، وهي على مستويات راقية، مسّت طبقة الحكّام والملوك والعلماء؛ فضلا عن العامّة من النّاس، هذا لأنّه كان رجلاً من النّوع الخاص فهو يتميّز بالعلم الفائق، والفكر

(1) Henry Barth، Travels and Discoveries of North and Central Africa, vol1, new york ,1857 p. 474.

(2) Usman Muhammad Bugaje، The Tradition Of Tajdid In Western Bilad Al-Sudan A Study Of The G Enesis,Development And Patterns Of Islamic Revivalism In The Region Ad 1900-900, Thesis University Of Khartoum ,1991 , pp 74-195.

الثّاقب، وبعد النظر، والصّدع بصولة الحق حينما يسري الباطل وأهله؛ لذا كانت حركة التّأليف لديه غزيرة، متنوعة بتنّوع علوم عصره، كالتفسير والحديث والفقه والنّحو والصّرف والمنطق[1]، وقام برحلات كثيرة لنشر الإسلام، ويمكن القول أنّ الدّور الّذي قام به الشّيخ المغيلي لا يضاهيه أيَّ دورٍ قام به عالم مغربي في السّودان الغربي والأوسط. فقد ترك بصمته، فكان قاضيا ومفتيا وقدم النصح وألّف الكتب العديدة وقام بتصحيح مفاهيمٍ كثيرةٍ كانت مُغيَّبة في أذهان عامّة النّاس، بل حتّى عند أهل السّياسة من الحكّام[2].لقد تعلّم المغيلي من خلال تجارب الحياة ، والّتي شملت الكثير من الصّعاب والمشاكل والعداء الّذي نصبه له بعض الجماعات ذات المصالح لمكانتها، كبعض العلماء الّذين يُطلق عليهم المغيلي اسم علماء السّوء المرتشين، ومن خلال تجربته في نازلة توات فقد اعتبر الشّيخ أنّ العقبة الكبرى الّتي تقف أمام عملية التّجديد، هم أولئك العلماء المرتشين؛ لذا بذل جهداً كبيراً لكشفهم والتّحذير منهم[3].

وبذلك يعدّ محمّد بن عبد الكريم المغيلي أحد العلماء الكبار الّذين تركوا آثارهم الإصلاحية خاصّة في الجانبين الاجتماعي والسّياسي مسّت حكاماً ومحكومين في بلاد السّودان الغربي وامتدت آثاره إلى مجاهدي مملكة سوكوتو في بداية القرن التّاسع عشر ميلادي حينما أخذوا من كتاباته ما يحتاجونه واستفادوا كثيراً من نصائحه، كما استشهدوا بأقواله وفتاويه الدّينية، وطبّقوا وصاياه في السّياسة والملك، وقد ذكر عبد الله سميث بأنّ كل قادة سوكوتو أعطوا الاهتمام لكتاباته، والّتي أثّرت تأثيراً كبيراً على النّخبة

(1) حدث له مراسلة في المنطق مع السّيوطي.

(2) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في افريقيا الواقع و المستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص113.

(3) Usman Muhammad Bugaje ، Op.cit، p161.

من المسلمين في المنطقة خاصةً في الجانب السّياسي[1].

2- تأثُّر الشّيخ عثمان بن فودي بالشّيخ عبد الكريم المغيلي:

لم يكن لدخول الإسلام في بلاد الهوسا خلال النّصف الأخير من القرن الخامس عشر ميلادي أيّ بعدٍ سياسي في البداية، رغم الثّقافة الكبيرة الّتي كان يتمتّع بها علماء المنطقة، ثم أصبح الإسلام يمثّل قوّة سياسية في بلاد الهوسا، أدّى إلى تغيرات حكومية، جَلَبَت قيادات جديدة، خصوصاً في زاريا وكانو وكاتسينا اللاّتي كُنّ أكثر إسلاماً في بلاد الهوسا، ومن أبرز هؤلاء الحكّام محمّد رمفا حيث يعد من أشهرهم في كل بلاد الهوسا نظراً لما عرف عنه من الحكمة وحسن التّدبير، حيث ازدهرت كانو في عهده ازدهاراً كبيراً ويعود ذلك إلى استعانته الكبيرة بطائفة من العلماء على رأسهم الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي الّذي كان في بلاطه يمارس مهام كثيرة أهمها القضاء والإفتاء إلى جانب التّعليم وللثّقة الّتي وضعها فيه أصبح من أكبر المقرّبين حيث دعاه لنصحه[2]، وبترسيخ الإسلام زادت أهمّية بلاد الهوسا، وأصبح يمرّ عليها ركب الحجيج، وكانت لمراكز التّعليم المتنامية فيها خلال القرن السّادس عشر ميلادي سمعة طيّبة؛ ممّا جعل بعض مدن بلاد الهوسا تبرز كعواصم إسلامية ذات شأنٍ بما فيه الكفاية لجذب العديد من الطّلاب والعلماء، زد على هذا تقليد الحجّ الّذي عمل على وصل المسلمين بالعالم، كما يعتبر مصدر لتدفّق الفكر والأفكار الإسلامية إلى بلاد الهوسا، وكان الإسلام في القرن

(1) H. F. C. Smith، A Neglected Theme Of West African History، The Islamic Revolutions Of The Century19, J. H.S. N, Vol. 2, No. 2 ,1961, P177.

(2) Usman M. Bugaje ،The Sakkwato Model A Studyof The Origin, Development And Fruition Of The Jihad Of Uthman B. Fodye (1754-1817) This Booklet Was Originally A Paper Presented At An International Islamic Conference Held At Bayero University Kano - Nigeria (16th To 22nd April 1980), P4.

الثّامن عشر الميلادي أكثر قوّةً وتمكّناً، حيث أنّ الحكّام أشهروا إسلامهم واعتمدوا على العلماء في حكمهم.

لقد تأثّر ابن فودي أوّلا بعلمائه المعاصرين له في السّودان الغربي تأثراً مباشراً[1]، وبحركة المرابطين، وفي الأندلس بحركة الدّعوة الإسلامية، كما تأثَّر بحركة الموحّدين .ولقد تنوّرت أفكار ابن فودي من تلك الحركات، من خلال أثار المغيلي في غيرته على الإسلام، والدّفاع عنه باللّسان وباليد وبالسّلاح. لقد تأثَّر ابن فودي بأفكار المغيلي تأثيراً كبيراً، حتّى صار ينقل من كتبه كأنمّا ينقل عنه مشافهة، ولقد أورد في كتابه حصن الإفهام بعض فتاوى المغيلي. وأوعز ثقل هذا التأثّر إلى المغيلي ونسب ابن فودي نفسه إليه كالتلميذ الّذي سمع أو أخذ منه مباشرة مع ما بينهما من بعد العهد الّذي لا يقلّ عن ثلاثة قرون ،ممّا يدّل على تأثّره الشّديد وتعلّقه بهذا الشّيخ الكبير،كما استشهد به أيضاً في كتابه تعليم الإخوان، ونقل كلامه وفتاويه مستشهداً تارةً و محتجاً بها تارةً أخرى[2]، هذا وقد أورد ترجمته الّتي نقلها من كتابي أحمد بابا التمبكتي نيل الابتهاج و كفاية المحتاج[3]

وقد بين الشّيخ عثمان بن فودي أنّه انتفع بكتبه حيث يقول: " قلت قد وقفنا بحمد الله تعالى على

بعض تواليفه، وانتفعنا بها، منها كتاب المسائل الذي ألّفه لأسكيا، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح ورسالته الّتي ألّفها لأبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كنو، وغيرها جزاه الله عنّا الخير، وجمعنا معه في علالي جنّات الفردوس،

(1) حسن عيسى عبد الظاهر، بين الدعوة السلفية دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب و بين الدعوة الفلانية دعوة الشيخ عثمان دان فوديو، مجلة التربية، الكويت، ص32.

(2) B. G. Martin، Unbelief in the Western Sudan، 'Uthmān dan Fodio's "Ta'līm al-ikhwān", Vol. 4, No. 1, Middle Eastern Studies, 1967, pp64-74.

(3) Ibid, p76-77.

آمين. "[1]، كما ذهب بعض المؤرّخين من الغرب والعرب[2] إلى فكرة ذهاب الشّيخ عثمان إلى الحجّ وبالتّالي تأثّره بالحركة الوهّابية في الحجاز، ولما رجع إلى بلاده رجع متحمّساً ، فقام بحركته الإصلاحية والجهادية، لكنّ كل الدّلائل تثبت بأنّ الشّيخ عثمان بن فودي لم يذهب إلى الحجِّ ومن ثمّة استبعاد التقائه بالشّيخ محمد عبد الوهّاب[3]، و كذا علماء الحجاز.

وقد أورد الآلوري في كتابه تاريخ الإسلام في نيجيريا أدلّة على ذلك منها[4]:

أن الشّيخ عثمان لم يغادر حدود بلاده، ولو أنّه ذهب إلى الحجّ كما يزعم البعض لكان ذلك موجوداً في كتاباته، أو على الأقل كان قد كتبه ممن سجّلوا تاريخ حياته، وأنّ منهج الرّجلين يختلفان تماماً فالشّيخ عثمان مالكي المذهب، صوفي على الطّريقة القادرية، أمّا الشّيخ محمّد عبد الوهاب فهو سلفي على المذهب الحنفي، كما أنّ

(1) Ibid, p77.

(2) ونذكر من الكتاب العرب والغربيين ، عبد الفتاح الغنيمي، أحمد شلبي، عبد الرحمن زكي، احمد حسن محمود، توماس أرلوند و غيرهم

(3) الإمام محمد بن عبد الوهاب (1115 – 1206ه) صاحب الدّعوة الإصلاحية في نجد "**الوهابية**" ولد في بيت علم ودين في بلدة العيينة حيث كان والده قاضي العيينة، وكان الشّيخ قوي الذهن فحفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم درس الفقه الحنبلي، ثم رحل في طلب العلم في الحجاز والعراق، وعاد إلى نجد سنة 1139ه، وكان حريصاً على إصلاح الأوضاع في نجد بعد أن انتشرت الخرافات وعُبدت القبور، وكان له ما أراد بعد أن وقف بجانبه محمد بن سعود أمير الدرعية وأبناؤه، حتى اتسعت الدعوة والدولة لتشمل نجد وغالب الجزيرة العربية، بل تأثر بها كثير من المصلحين في العالم الإسلامي. انظر الكتب الّتي ألّفت عن الشيخ ومنها، المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي، تح عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز،1983.أحمد بن حجر آل بو طامي "**الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية**"، ، طبع ونشر الحكومية السعودية 1395ه.

(4) آدم الألوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السّابق، ص 99 و ما بعدها.

موقفه من التّصوف والصّوفية واضح و بالتّالي فهو لا ينتمي لأيّ طريقة، والأمر الآخر نجده في كتابات الشّيخ عثمان، حيث لم ترد أيّة إشارة لدعوة الشيخ محمّد عبد الوهاب أو لذكر اسمه، بينما تجلّيات فكر المغيلي وفتاويه واضحة في العديد من مؤلّفات الشّيخ عثمان، وحتّى في كتابات أخيه عبد الله وابنه محمّد بلّو، بالإضافة إلى أنّهم يذكرون المشايخ الّذين نقلوا عنهم كابن الحاج صاحب المدخل والأزرق والإمام السّيوطي والشّيخ محمّد المختار الكنتي عدم تزامن انتشار الحركة الوهّابية في شبه الجزيرة العربية نفسها وجهاد الشّيخ عثمان الّذي كان في ذروته.

هذه الأدّلة وغيرها ترجّح عدم ذهاب الشّيخ عثمان بن فودي إلى الحجّ، وإن كان الحجّ فريضة من فرائض الإسلام وأمراً واجباً على كلّ مستطيع، ومهما يكن فإنّ الشّيخ كان يحثّ عليها إلاّ أنّ الظّروف كانت غير مواتية لأدائه هذه الشّعيرة.

إنّ التّراث الإصلاحي الّذي اعتمده عثمان في مواعظه كان منطوياً أيضاً على جذور مغاربية. ففي القرن الخامس عشر كان المغيلي قد شَجب جملةً من الممارسات الفاسدة وغير الإسلامية في منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء. أدان الضّرائب غير الشّرعية و عمليات الاستيلاء على الممتلكات الخاصّة، واستهجن سلسلة الممارسات والشّعائر الوثنية، وناهض العلماء ورجال الدّين المرتشين المرتزقة المنخرطين في خدمة الحكّام، هذا مع جهلهم الكبير للّغة العربية ولأصول الشّرع الإسلامي. دعا المغيلي إلى تطبيق الشّريعة من قبل حاكم قوي ملتزم بالإسلام وأدخل إلى إفريقيا الغربية مفهوم التّجديد، وقام عثمان بن فودي حاذياً حذوه بانتقاد حكام الهوسا على جملة المكوس (الضّرائب) غير العادلة وغير الشّرعية، وعلى مُصادرة الأملاك، وعلى الخدمة العسكرية الإلزامية، وعلى الرّشوة، وعلى تلقّى الهدايا وعلى استعباد المسلمين كذلك وجه سهام نقده إلى هؤلاء الحكّام

بسبب إهمال الرّعية وكذا عبادة الأوثان والإيمان بقدرة الطّلاسم والرّجم بالغيب (التّنجيم)[1] .

تعتبر حركة الفوديين الممثلة في الشّيخ عثمان بن فودي قد اتّبعت أسلوب المغيلي في حركته الإصلاحية التي بدأها وهو في العشرين من عمره، سالكاً في دعوته أسلوب التّدريس والوعظ الّذي انتهجه الإمام المغيلي في رحلته للسّودان الغربي والتّكرور، ومتّبعاً مناهج مُعلّميه وأسلافه الأوائل، وبذلك كثر أتباعه لتدخل دعوته الإصلاحية مرحلة التّحرك نحو قصر السّلطان، فدرّس فيه أكثر من خمس سنوات إذا كان المغيلي قد ألّف العديد من الكتب في مختلف العلوم كالفقه، والحديث، والتّفسير، والمنطق، واللّغة، والسّياسة الشّرعية ،فإنّ أربعة من مؤلّفاته استثارت منظّري الدّعوة الفودية، وهي الرّسائل الثّلاث الّتي ألّفها خلال إقامته في السّودان الغربي بطلب من بعض حكّامها، ورسالته الرّابعة الّتي ألّفها في نازلة يهود توات.

فإذا عدنا إلى مؤلّفات عثمان بن فودي، نجده اعتمد اعتماداً كلّياً على كلام وأفكار الشّيخ المغيلي، ففي كتابه سراج الإخوان في أهمّ ما يحتاج إليه في هذا الزمان ، الّذي قسّمه إلى عشرة فصول نقل في تسعة فصول منها كلام الشّيخ المغيلي في أجوبته للأسقيا ،فلو حذفنا هذه النّقول المغيلية لما بقي سوى بعض فقرات أو تعليقات، أو أداة ربط بين الكلام. وفي رسالةٍ أخرى لابن فودي بعنوان تنبيه الإخوان على أحوال أرض السّودان حيث خصّص الفصل السّادس في هذه الرّسالة لذكر وصيّة المغيلي لمحمّد بن يعقوب أمير كانو أمّا في رسالته وثيقة أهل السّودان وما شاء الله من الإخوان فهي عبارة عن تلخيص لرسالته الخاصّة بشؤون الرّعية والإمارة. وفي كتابٍ آخر له وهو حصن الإفهام من جيوش

(1)أيرا م . لابيدس، تاريخ المجتمات الاسلامية، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، لبنان،2011،ص696-697.

الأوهام كان نقله لكلام المغيلي في عدّة مواضع .وفي كتاب آخر وهو أصول العدل لولاّة الأمور وأهل الفضل فقد لخصّ فيه ما جاء في رسالة الإمارة للمغيلي، وكلام الغزالي من كتابه التبر المسبوك في نصيحة الملوك حيث عمل على تلخيص الأبواب الثّمانية الّتي تتألّف منها رسالة المغيلي في نصحه لأمير كانو، وفي رسالته المسمّاة: مسائل مهمّة يحتاج إلى معرفتها أهل السّودان حيث نقل أيضاً من أجوبة المغيلي لأسقيا في مواضع متفرّقة ويحتجّ بأقواله وآرائـه[1].

لقد تجاوز تأثّر ابن فودي بالمغيلي فلم يكن ينقل عنه من كتبه فحسب بل تعدّى ذلك إلى حدّ الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع، وإلى العمل بآرائه والاقتداء بأفكاره لتدعيم مواقفه. كما أخذ عنه تقاليد التّعامل مع الحكام، والعلماء هذا وكان يقلّده في طريقة كتاباته فقد كان المغيلي يختم كلّ فصل من رسالة الإمارة بعبارة يكررّها هي: "ورأس كل بليّة احتجاب السّلطان عن الرّعية"، وكذلك فعل ابن فودي مقلّداً فكان يختم كلّ فصل من رسالته إحياء السّنّة وإخماد البدعة بعبارة أخرى وهي: "اللّهـم وفقنا لإتّبـاع سنّة نبيّك ﷺ بجاهه عندك"[2] .

3- المصادر المغربية لحركة عثمان بن فودي:

رغم وجود نقاط التقاء كثيرة بين حركتي محمّد الوهّاب في الحجاز، وحركة عثمان بن فودي في بلاد الهوسا، إلاّ أنّ الأدلّة الّتي ساقها عبد الله آدم الألوري عن عدم تأثّر عثمان بن فودي وحركته بالحركة الوهّابية تبيّن عكس ذلك[3]، والأدلّة القويّة الّتي تدعم موقف عدم وجود أيّة صلةٍ بالتّيار السّلفي الوهّابي، إنّما ترجع إلى

(1) حسن عيسى عبد الظاهر، المسائل المهمة التي يحتاج إلى معرفتها أهل السودان لأمير المؤمنين الشيخ عثمان دان فودى"مجلّة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ع3، 171،1984-201.

(2) عثمان بن فودي، إحياء السنة و إخماد البدعة، المصدر السابق.

(3) نفسه، ص ص 99-102.

منابع أخرى قريبة من ثقافته الّتي تجمع بين العقيدة الصّحيحة، وتشبّثه بالسّنّة النّبوية، والمذهب الفقهي الوسطي من جانب والتّربية الرّوحية الصّوفية البعيدة عن الغلوّ من جانب آخر، فهذه المنابع ما هي إلاّ نتاج علماء كبار من بلاد المغرب الإسلامي، ساهموا بمؤلّفاتهم في نشر عقيدة الإسلام ومبادئ، والسّنّة النّبوية الشّريفة، وهذا ما أكّدته مؤلّفات الشّيخ عثمان بن فودي، ورجال حركته وعلمائها، الّتي لا تخلو من الاستشهاد بهم وبشكل مكثّف، ومن جهة أخرى وضوح التّأثير الّذي تركه هؤلاء العلماء بأفكارهم القويّة[1]، ومن أشهر هؤلاء العلماء من القطر المغربي نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن خلدون، وأبي عبد الله بن الحاج العبدري الفاسي صاحب المدخل الذي احتج به كثيراً واستدلّ بكتاباته[2]، والشّيخ أحمد زروق، والقاضي عياض، والونشريسي صاحب المعيار، وابن أبي زيد القيرواني صاحب الرّسالة، وسحنون صاحب المدوّنة في الفقه المالكي، وأحمد المقرّي، وأحمد بن عبد الله الزّواوي أبو العباس الجزائري صاحب اللاّمية المشهورة القصيدة الجزائرية في العقائد [3]، والجزولي في شرح الرّسالة وعالم تلمسان الفقيه والمحدّث محمّد بن يوسف أبو عبد الله صاحب العقيدة الكبرى، الوسطى الصّغرى[4]هذا فضلاً عن علماء الصحراء والسّودان الغربي أمثال أحمد بابا التّمبكتي، والمختار الكنتي وجبريل بن عمر وغيرهم كثير.

(1) عبد العلي الودغيري، المرجع السّابق ، ص ص 74-76

(2) عثمان بن فودي، نجم الإخوان يستعينون به في أمور الزمان، تقديم وتعليق أحمد مصطفى أبو الخير، مركز أبحاث الوثائق والمخطوطات وتحقيق التراث، جامعة المنصورة، 1990، ص24.

(3) نفسه، ص62-71.

(4) نفسه، ص24.

لقد كانت هذه هي المصادر الدّينية والعلمية الّتي نهل منها الشّيخ عثمان العلوم واعتمد عليها في تنظيراته و كتاباته المختلفة، ولا ننسى أنّه اعتمد أيضاً على بعض المصادر المالكية المشرقية.

رابعاً: تأثير الطّريقة القادرية:

يكاد التّصوف في هذه البلاد يكون ضرورة لكلّ مسلم، فما من مسلم إلاّ وتجده قد اتّخذ طريقة صوفية منهجا في حياته، وهذا ما جنت عليه المنطقة منذ القرن الخامس عشر ميلادي[1]، فالطّريقة هي أسلوب عملي ويطلق عليها أيضا المذهب والرّعاية والسّلوك؛ لإرشاد المريد عن طريق اقتفاء أثر طريقة تفكير وشعور وعمل تؤدّي من خلال تعاقب مراحل المقامات في ارتباط متكامل[2].

وفي هذا الإطار تندرج الطّريقة القادرية[3]، الّتي انتشرت في شمال افريقيا، خاصّة في المغرب الأوسط الجزائر و تونس، كما انتشرت معها الطّريقة الشّاذلية[1]،

(1) حسين عيسى عبد الظّاهر، المرجع السّابق، ص 379. أنظر أيضا، Paul Marty, tribus du Souda, Tome 1 , Éditions Études sur l'islam et les Ernest Leroux , paris, 1920,pp1-20.

(2) سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص 26.

(3) الّتي تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى ينتهي نسبه إلى عليّ بن أبي طالب و فاطمة الزّهراء رضي الله عنهما، و نسبته الجيلاني ولد في جيلان سنة 471ه/1078م له عدّة مؤلّفات منها الغنية لطالبي طريق الحق، فتوح الغيب، و الفيوضات الرّبانية، و الأوراد القادرية، و الكبريت الأحمر الصّلاة على النبي، و مراتب الوجود، و الرّسالة الغوثية، و سرّ الأسرار، وجلاء الخاطر من كلام الشّيخ عبد القادر، حزب إرجاء و الانتهاء، و يواقيت الحكم، و تحفة المتّقين و سبيل العارفين عثمان بن فودي، تبشير الأمة الأحمدية، مخطوط الأرشيف الوطني كادونا، المادة رقم 2، المرجع o/r6 ، عماد عبد السّلام رؤوف، الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ط1، ،مطبعة الإرشاد، بغداد، ج1، 1974، ص ص 7 .

حتّى كانت الطّرق تنتسب إلى إحدى الطّريقتين، ومن الجزائر امتدت عبر واحات توات إلى إفريقيا جنوب الصّحراء[2].

ولمهامها المتعدّدة ودورها في توعية المجتمع فقد كان للزّوايا الصّوفية مكانتها العالية وسلطتها الرّوحية الكبيرة، وقد ارتبط انتشار الإسلام في شمال افريقيا وغربها بانتشار الطّرق الصّوفية وعلى الأخص الطّريقتين القادرية والتّجانية، وقد زاد عدد أتباع الطّرق الصّوفية خصوصا التّجار منهم، وقام اتباع هذه الطّريقة بدورا ديني وسياسي وثقافي هامٍّ، ساهم في الازدهار الحضاري للمناطق التي انتشرت فيها، وارتبط التّصوف بالعلم و كانت المحاضر[3] مقرّه الأساسي، وكانت معها الزّوايا الصّوفية كمكان هامٍّ لتدريس مختلف العلوم الإسلامية كالحديث والفقه والتّفسير وعلوم اللّغة إلى جانب تدريس السّيرة النّبوية والتّاريخ الإسلامي[4]كما أصبح التّصوف يمثّل نشوة دينية يتقرّب بها المجاهدون إلى الله واللّجوء إليها لمحاربة الاستعمار[5]، كما أدّت الطّرق الصّوفية

(1) الطّريقة الشّاذلية، تنسب إلى مؤسّسها الشّيخ أبي الحسن الشاذلي(939ه/1532م) و كان قد ظهر في مصر و برز في مريديه في المغرب الشّيخ أحمد زرّوق (963ه/1493م)، ثم محمد نار الدرعي(1036ه/1626م) و بهذين الشّيخين تمر السّلسلة الشنقيطية، وذكر صاحب شجرة النّور الزّكية أن محمّد الشنقطي أخذ عن الشّيخ زروق مباشرة و أخذ عنه أبو الرّضاء رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي المتوفّي 9911ه و عليه يحتمل تزامن دخل الطّريقة الشّاذلية مع الطّريقة القادرية. أنظر خليل النّحوي، مرجع سابق، ص 122.

(2) حسين عيسى عبد الظّاهر، المرجع السّابق، ص 387.

(3) المحاضر مفردها محضرة مكان تعليم القرآن.

(4) الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية و الثقافة، تونس،1987، ص 120.

(5) محمد حوتية، توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة و الثامن عشر و التاسع عشر للميلاد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص177.

دورها في نشر الثّقافة الإسلامية، ويحسب لها أيضا دورها الفعّال في مقاومة الاحتلال الأوربي الّذي حلّ بالمنطقة طامعا في ثرواتها[1].

1- انتشارها في غرب افريقيا:

تعتبر الطّريقة القادرية من بين أهمّ الطّرق الصّوفية الكبرى الّتي انتشرت انتشاراً واسعاً في أجزاء كبيرة من قارة افريقيا، بل كانت أسبق الطّرق الصّوفية في كلّ السّودان الغربي لنشر الإسلام وتثبيت دعائمه[2] وكان لهجرة قبائل كنتة من مراكزهم بمنطقة توات خلال القرن الخامس عشر وانتقالهم إلى ولاّتة[3] ثم تمبكتو أثره البالغ في نشرها نظراً للدّور الدّيني والقيادي البارز الّذي قامت به هذه القبائل، حيث أسهموا في نشر هذه الطّريقة، وفضلا عن ذلك ساهموا في نشر الدّين الإسلامي[4]، وحيثما وصلت موضعا أقامت فيه مسجداً، والّذي يعتبر مركزا أساسي لتعلم أمور الدّين والعبادة[5]، ومع بداية القرن التّاسع عشر كانت الطّريقة القادرية تسيطر على الحياة الفكرية والرّوحية في أكثر نواحي افريقيا الغربية مما ساعد على نشر الإسلام بشكل أوسع وأسرع فكان دخوله من حالات فردية إلى

---

(1) شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ شمال و غرب افريقيا الحديث و المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012، ص61.

(2) عبد القادر زبادية، دراسة عن تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، المرجع السّابق، ص 231.

(3) تقع ولاتة إلى الشمال الغربي من تمبكتو، ومعناها الأرض المرتفعة، من أسمائها " بيرو " وهي حاليا من مدن جمهورية موريتانيا الاسلامية، كانت مركزا تجاريا كبيرا، إلى جانب الازدهار العلمي، حيث وفد إليها العلماء والتجار من كل النواحي من أهل مصر وفزان وغدامس وتوات ودرعة وفاس وسوس وغيرها ثم تحول النشاط عنها إلى تمبكتو"، انظر أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج6 ، 1983،ص198.

(4) R.H.Trimingham, A History of Islam in W.A ,p156-60.

(5) حسين مؤنس، الطرق الصوفية و أثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ص 27.

حالات جماعية[1] وتعتبر الطّريقة الوحيدة في غرب افريقيا من حيث الانتشار لتأتي بعدها الطّريقة التّيجانية[2].

وممّا يجدر ذكره أنّ أتباع الطّريقة القادرية قاموا بدورهم في نشر الإسلام في غرب افريقيا، فكانوا خير سفراء للحضارة العربية الإسلامية، كما انّه قد برهن دعاة القادرية على أنّهم أوفياء لأهمّ المبادئ الّتي كانوا يعملون بها في حياتهم، والّتي تقوم في مجملها على حبّ الجار والتّسامح وغيرها من الصّفات الكريمة الّتي يتميّز بها الإنسان المسلم المتصوّف[3]، وقد قام رجالها المتزعمون باسمها من فولانيين وسراكوليين وماسنيين بحركات الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين[4]، وكان أروع تحقق لهذه الطّريقة هو جهاد الهوسا في القرن التّاسع عشر بوحي من عثمان بن فودي[5]، حيث وصلت الطّريقة القادرية إلى ذروة انتشارها بين خلفاء سوكوتو الّذين قاموا بدور كبير في نشرها بعد إسلام الوثنيين[6].

3- دور قبيلة كنتة:

كان للحماسة الدّينية دور في دفع الحركات الدّعوية في غرب افريقيا، مما أدي إلى نجاحها وانتشارها والّتي حملت طابعاً سلمياً حملت معها أثراً بالغاً في نشر

(1) أحمد شلبي، المرجع السّابق، ص212.

(2) سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، 1994، ص 178.

(3) ارنولد توماس، المرجع السابق، ص365، 366.

(4) عبد القادر زبادية، دراسة عن تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، المرجع السّابق، ص 231.

(5) إيوان ميردين لويس، الحدود القصوى للإسلام في إفريقيا وآسيا، ضمن تراث الإسلام، بإشراف، شاخت وبوزوروث، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، 1978، ص 141.

(6) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، الإسلام و الحضارة العربية في نيجيريا، القاهرة، 1958، ص ص 200-225.

الإسلام على نـطاق واسـع خاصّة بين القبائل الوثنية[1]، وهذا ما اعتمده دعاة القادرية من وعظ وإرشاد وتعليم، ونشر الثّقافة الإسلامية مستلهمين ذلك من مختلف المؤلّفات الّتي ألّفها زعماء القادرية باللّغة العربية[2]، ويمكن القول أنّ سيدي الشّيخ المختار الكبير الّذي برز في الفترة 1726-1811م له الفضل الكبير توسيع انتشارها بالسّودان الغربي حيث نجحت في كسب قلوب الكثيرين، وقد ركز الشّيخ المختار الكبير على أهمّية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والحثّ على جهاد الكفّار، وفتح باب الاجتهاد، وأوصى بتحلّي سلوك الرّفق واللّين[3]، وحسب ما سجّله الكنتيون كان على المريد في الطّريقة القادرية أن يتحلّى بأربعة أشياء: إتباع الرّسوم وترك الإعراض ودوام الملازمة والسّعي في الأغراض وبها يعرف قدر صبره، ومنها يمتحن في مختلف السّلوكات والآداب[4] وبفضل جهود الشّيخ المختار الكبير لم تصبح الطّريقة القادرية مجرد طريقة فقد هيمنت على المنطقة إلى غاية النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر ميلادي[5].

زاد اتساع الطّريقة القادرية حيث امتدّ نشاطها إلى بلاد الهوسا، وكان الاتّصال بين الشّيخ المختار الكبير وقادة الجهاد الفولاّني عثمان بن فودي (ت 1817)، وابنه محمّد بلّو (ت 1837)، وشقيقه عبد الله بن فودي (ت 1828)، على ما يبدو قد تمّ في المقام الأوّل من خلال تلاميذ الشّيخ المختار الكبير الّذين كانوا يتنقلون من بلاد الهوسا إلى البلاد المجاورة، فكانوا من الّذين يتردّدون على تلك المنطقة قصد

(1) أرنولد توماس، المرجع السّابق ،ص 370.

(2) مجموعة مؤلفين، الإسلام و المسلمون في إفريقيا و آسيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، ص 7.

(3) Usman Muhammad Bugaje ، Op.cit, P 212.

(4) محمد حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجري ق18-19م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص 241.

(5) Usman Muhammad Bugaje ، Op.cit, P 170.

التّجارة أو الدّعوة، ومن أبرز هؤلاء التّلاميذ ثلاثة أسماء: الشّيخ ألفا نوح ابن الطّاهر الفولاّني الماسني والإمام الصّوفي الحاج محمّد العافية، والشّيخ سيدنا وهيب الأموي، وكان للشّيخ ألفا نوح ابن الطاهر الفولاني حين إقامته في سوكوتو دوره الكبير في تلقّين الشّيخ عثمان بن فودي أوراد الطريقة القادرية المختارية وأجازه عليها[1]، ويبـدو أنّه من خـــلال هؤلاء التّلاميذ جاءت كتابات وتعاليم الشّيخ المختار الكبير في أشعار وكتابات قادة الجهاد الفولاّني[2] .

كما أنّ محمّد بلّو أخذ أوراد وأحزاب القادرية عن قاضي آمودي الشّيخ الحاج محمد العافية وهوّ أخذها عن الشّيخ المختار الكبير ثم أجازه عليها، وقد ذكر محمد بلّو في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ التكرور ورد الشّيخ عثمان وهو ما يسمى بورد السّلسلة القادرية الّذي لقّنه لأتباعه من المريدين[3]، لقد كان تلقّى قادة الجهاد أوراد السّلسلة القادرية من الشّيخ المختار الكبير عن طريق تلاميذته، أن أصبحوا قادريّين ومداومين على أورادها، وقد امتدحوه في قصائد عديدة و طلبوا منه الدّعاء لهم[4] .

وعلى ذلك تبيّن أنّ الدّور الكبير لجماعات القادرية يعتبر من النّماذج الإسلامية الّتي جعلت الصّوفية سمة حضارية وثقافية باعتبار ما شيّدوه من دول، وما أسّسوه من مدارس وما فتحوه من بلدان خير دليل على ما قدّموه سبيلا في خدمة الإسلام في غرب إفريقيا[5].

---

(1) B. G. Martin, Op.cit, p 77.

(2) Abdal-Aziz Abdallah Batran, Sidi al-Mukhtar 'al-Kunti and the recrudescence of Islam in the Western Sahara and the Middle Niger c. 1750-1811, Ph. D. Thesis submitted to the University of Birmingham, Centre of West African Studies, 1971, pp345-346.

(3) محمد بلّو، المرجع السّابق، ص ص 222-224.

(4) نفسه، ص ص 220-221.

(5) مجموعة مؤلفين، الاسلام و المسلمون في افريقيا وآسيا،المرجع السابق، ص7.

4- الشّيخ عثمان بن فودي والطّريقة القادرية:

ثبت أنّ الشّيخ عثمان بن فودي على الطّريقة القادرية ولم يرغب في غيرها[1]، ورغم أنّها الطّريقة الأكثر انتشاراً في غرب افريقيا إلاّ أنّ اتباع هذه الطريقة وأورادها يعود لأسباب نفسية تعود على الشّخص ويبدو أن تقبّل الشّيخ لهذه الطّريقة كان في أكثرها مسألة اختيار شخصي روحي دفعه للتّفاني في أيّ فرع من فروع الطّريقة[2]، فقد ألّف الشيخ العديد من الكتب التّربوية عندما كان في سيفاوا Syfawa الّتي تتحدّث عن منهج القادريين وسلسلتهم[3]، ومن مؤلّفاته في القادرية السّلاسل الذهبية، والسّلاسل القادرية وتبشير الأمة المحمدية بفضائل الطّريقة القادرية، وكان جميع مشايخ ابن فودي وإخوته وتلاميذه منتسبين للقادرية، فكان لابنه محمّد بلّو كتاب مفتاح السّداد ، وللوزير غطاط بن ليم في ذلك كتاب أسماه المواهب الرّبانية في تحقيق الطّريقة القادرية.

وقد ساعدت هذه المؤلّفات الشّيخ عثمان على جعل الطّريقة القادرية أكثر انتشاراً في غرب افريقيا بالتّصدي للبدع والخرافات، كما توجّه أتباع الطّريقة بقوّة للدّراسة والتّعلم للقضاء على الجهل، وصارت زواياها بمثابة مراكز للذّكر والصّلاة إلى جانب التّعليم، وزاد شأنها حيث أصبحت مصدراً لفتاوى التّشريع الإسلامي[4].

---

(1) عبد الله الآلوري، تاريخ دخول الإسلام في افريقية الغربية، المرجع السّابق،ص284 .

(2) Ralph A Austen ،Trans-Saharan Africa in World History ,Oxford University Press, New York, 2010. P92.

(3) علي بن أيوب ناجي ، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت، دت، ص89.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطّرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مبدولي، 1990، ص 46.

5- سند الشّيخ عثمان في الطّريقة القادرية:

لقد أصبح الشّيخ عثمان بن فودي من أبرز زعماء الطّريقة القادرية في بلاد الهوسا، بعد أن أخذ أورادها وأجيز فيها عن طريق الاتصال بالشّيخ المختار الكنتي، وهذا ما ذكره في كتابه تعليم الإخوان عن سنده في الطّريقة القادرية المتّصل بالشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي حيث يقول:" ونريد أيضا أن نختم هذا الكتاب بذكر سندنا المتّصل إليه رضي الله تعالى عنه الّذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتي الأموي، وهو سند ورد السّلسلة القادرية أجازني به الشّيخ العالم نوح وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور، وهو عن شيخه سيدي الشّريف علي بن أحمد وهو عن شيخه سيدي أبى النقاب السّيد الأمين لقب به لكونه يتلثّم وهو عن شيخه أبيه سيدي أحمد، وهو عن شيخه سيدي الرّقاد، وهو عن شيخه سيدي أحمد الفيوم، وهو عن شيخه سيدي عمر بن سيدي أحمد البّكاي، وهو عن شيخه سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رضي الله تعالى عنه"[1].وبهذا السّند القادري يدرج الشّيخ عثمان بن فودي نفسه في سلسلة القادريين الّذي ينتهي بأحد علماء المغرب الإسلامي المتمثّل في الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني.

ونخلص أنّ بلاد المغرب الإسلامي كانت رافداً حضارياً، لإفريقيا جنوب الصّحراء، وجسراً ناقلاً للإسلام واللّغة العربية، ومنها انتقلت مختلف العلوم الأخرى كالحديث والفقه والتّفسير، والبلاغة والنّحو والصرف، وقد تأثّرت بلاد الهوسا بكلّ ما هو مغربي بفضل علمائها الّذين وصلوها في فترات مختلفة لنشر الإسلام، وبثّ العلوم من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الّذي أصبح قدوة في هذه البلاد، وبفضل التّصوف في الشّمال الإفريقي تكوّنت الطّرق الصوفية، ومنها الطّريقة القادرية التي أصبحت أكبر الطّرق انتشارا في افريقيا،

(1) B. G. Martin, Op.cit, p77.

وكان انتقالها من الجزائر عبر واحاتها بتوات إلى الجزء الغربي منذ القرن الخامس عشر ميلادي وزاد انتشارها عن طريق قبيلة كنتة وكان لها الأثر البالغ في نشر الإسلام في ربوع السّودان الغربي ومن أبرز شيوخها المغيلي وسيدي المختار الكنتي وأحمد البكاي، وحمل لواءها من بعدهم في القرن التّاسع عشر الشّيخ عثمان بن فودي الّذي يتّصل سنده في القادرية إلى الشّيخ عبد الكريم المغيلي، كما قاد الجهاد في بلاد الهوسا، وكثر أتباعه من القادريين الّذين تعلموا أورادها.

فقدوم التّجار المسلمين من بلاد المغرب ومشاركتهم بقوافلهم المحملة بمختلف السّلع والمنتجات في التّجارة العابرة للصّحراء، واستقرار الكثير منهم مكّن من توسيع العلاقات، والرّوابط إلى مجالات أخرى متعدّدة أهمها انتشار الإسلام واللّغة العربية. وأظهر سكان بلاد المغرب خاصّة التّجار والعلماء والدّعاة قدرات عالية في التّأثير على الجماعات الإفريقية في بلاد السّودان الغربي بترسيخ أسس العقيدة الإسلامية حتّى تكوّنت أجيال من السكّان المحلّين قاموا بدورهم في نشر الإسلام والثّقافة العربية الإسلامية، كما أنّ دور المرابطين هو الآخر هام في نشر الإسلام بغربي إفريقيا، لنشاطهم وحماسهم، إذ كانوا يرسلون الدّعاة والعلماء بين القبائل السّودانية، وبفضل حركتهم ازداد انتشار الإسلام، كما ازداد الاتّصال التّجاري والثّقافي بالبلاد الإسلامية عامّة.

وكان للعلماء المغاربة عامّة ومحمد بن عبد الكريم المغيلي خاصة فضل كبير في إنعاش الحياة السّياسية والعلمية في السّودان الغربي، وبذلك تمّ تشكيل العقل العلمي في السّودان الغربي على مذهب الإمام مالك الّذي أصبح المرجع الفقهي الأكثر انتشاراً في هذه البلاد، وانتشرت معه كتبه، وشروحه من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

وكان أتباع الطّريقة القادرية كغيرهم قاموا بدور جليل في نشر الإسلام وعقائده، حيث فتحوا المدارس لتعليم القرآن، وبثّوا العلوم النّقلية والعلوم

العقلية، وتاب على أيديهم خلق كثير، وقد أصبح عثمان بن فودي من أقطاب هذه الطّريقة في غرب افريقيا.

وبهذه المؤثرات من انتشار الإسلام واللّغة العربية وتأثيرهما الكبير، وكذا إسهامات الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وتأثيره في المنطقة، وانتشار الطّريقة القادرية أصبحت شخصية عثمان بن فودي مبنية على أسس تكوينية متينة ومنطلقات صحيحة، بها ارتسمت أبعادها ونما فكره ومنهجه التّعليمي والدّعوي الإصلاحي.